المبحث الثالث

التصورات الإسرائيلية نحو المستوطنات

أ.د. حسن عبد القادر صالح*

المشروع الصهيوني في فلسطين

يشكل الاستعمار الاستيطاني اليهودي، أحد الأركان الأساسية للمشروع الصهيوني في فلسطين. فالصهونية المنتسبة إلى صهيون، هي حركة غلاة اليهود في القرن التاسع عشر لاستعمار فلسطين، غايتها العمل على جمع اليهود من أرجاء العالم، لتهجيرهم إلى فلسطين وسيطرتهم عليها وإقامة، دولة قومية لهم فيها. (نوفل ١٩٧٤ص٣).

ولا يختلف الفكر الصهيوني عن الفكر النازي في السياسة الجغرافية، فهما يستندان إلى فلسفة التفوق العرقي التي تتضمن اعتقاد الصهيونيين، بأن اليهود شعب الله المختار، وأن الرب وعدهم بالعودة إلى فلسطين أرض الميعاد، واعتقاد النازيين بأن العنصر الألماني هو أرقى شعوب الأرض، وأنه يستحق فرض وصايته على الآخرين. ومن هذا المنطلق وضع الألماني فردريك راتزل نظرية الدولة ككائن حي، وقام الألماني كارل هاوسهونر بوضع نظرية المجال الحيوي للدولة، وتلاهما السويدي رودلف كيلين الذي تبنى نظرية راتزل وقام بتطويرها. ونظر كيلين إلى العلاقة بين الدول على أنها علاقة صراع وتنافس ورغبة في السيطرة، واعتبر عملية النمو السكاني للدول على أنها علاقة صراع وتنافس ورغبة في السيطرة، واعتبر عملية النمو السكاني للدول القوية على حساب الدول الضعيفة عملة مشروعة. (نورمان ١٩٦٣ص٢٣٢)، و (البحيري ١٩٧١ص٢)، و(الديب ١٩٧٦ص٣٣٠-٣٣٧)، و(الدويكات ٢٠٠٢ص٥٦-٥٩)، و (السعدون ١٩٩٣ ص١١٩-١٢٧).

* أستاذ الجغرافيا في الجامعة الأردنية.

وقد استفادت النظرية الصهيونية من النظريات سالفة الذكر، بحيث إنها تحمل أفكارها التي تعتبر الدولة كائناً حيّاً ينمو ويتطور ويتمدد على حساب جيرانه، والتي تعتبر أن لكل دولة مجالاً حيوياً تتوسع فيه وفق ظروفها.

ويشكل الكيان الصهيوني الذي أقيم في فلسطين عام ١٩٤٨ حجر الزاوية في المشروع الصهيوني الذي مرّ بخمس مراحل، حسب النظرية الميدانية الموحدة لنشأة الدولة في الجغرافيا السياسية التي جاء بها الأمريكي جونز، وهي: الفكرة والقرار والحركة والميدان العملي والحيز المكاني (جونز ١٩٥٤).

أما المراحل التالية لمرحلة إنشاء الكيان الصهيوني، فإنها تتضمن حسب النظرية الصهيونية، توسيع رقعة الكيان الصهيوني على مراحل، لتحقيق أحلامهم في تنفيذ مشروع إسرائيل الكبرى ما بين نهري النيل والفرات. وتعتبر الحروب العربية الإسرائيلية في أعوام ١٩٥٦و١٩٦٧و١٩٧٣و١٩٨٢، خير مثال على سياسة التوسع الإسرائيلي على حساب الدول العربية المجاورة، بحجة أن الطاقة الاستيعابية لفلسطين محدودة، وأن تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين، يشكل ضغطاً سكانياً مرتفعاً على الموارد، بحيث تتطلب مصلحة الكيان الصهيوني شن حروب عدوانية، بغرض التوسع واحتلال أراضي عربية مجاورة. ويفسر هذا لنا عدم وجود حدود دولية تفصل بين الكيان الصهيوني وبعض الدول المجاورة، فالكيان السرطاني لا يعترف بالحدود، خشية أن يتناقض ذلك مع سياسته التوسعية.

وتعتمد استراتيجية الكيان الصهيوني على أدوات أساسية تسهم في تحقيق سياسة التوسع، وهي: استقبال المهاجرين اليهود من شتى بقاع الأرض، ونشر الاستعمار الاستيطاني في المناطق المحتلة من فلسطين وجوارها، وتهجير سكان المناطق العربية المحتلة. وتهدف عملية التهجير إلى تفريغ المناطق المحتلة من سكانها، تمهيداً لإحلال القادمين من المهاجرين اليهود محلهم، ليتحول اليهود إلى أغلبية عددية، وليتم ترسيخ أقدام الاستعمار الاستيطاني في المناطق المحتلة. (صالح ١٩٨٥ص١٦٣-٢٠٧).

وتتضمن دوافع المشروع الصهيوني في فلسطين، دوافعا دينية وقومية تاريخية وأمنية وسياسية حزبية واقتصادية. وقد تضافرت هذه الدوافع معاً في إبراز فكرة الاستيطان، وبناء المؤسسات الاستيطانية التي تشرف على المشروعات الاستيطانية (أرشيف دار الجليل ١٩٨٨ص٥-٤)، و(ربابعة ١٩٨٣ص١٥٧)، و(معتوق ١٩٩٢ص٤٧-٥١)، و(اورن ١٩٨٠ص٢٠٢-٢٢١)، و(صالح ١٩٩٥ص١٢٢-١٢٤).

وقد أقامت الصهيونية لتنفيذ مشروعها، مؤسسات خاصة للعمل على تهويد فلسطين، أي نزع ملكيتها من أيدي أصحابها الأصليين، ونقل تلك الملكية إلى أيدي اليهود، كما أقيمت في الوكالة اليهودية مؤسسات الهجرة والاستيعاب التي كان همها تهجير اليهود من شتى بقاع العالم إلى فلسطين.

إن إلقاء نظرة على خريطة أصناف الأرض، وخريطة الاستعمار الصهيوني في فلسطين إبان فترة الانتداب البريطاني، يوضح مدى الارتباط بين هذا الاستعمار الاستيطاني والأصناف الجيدة للأرض، وبخاصة أن معظمها وقع في السهول الخصبة حيث التربة الغنية والمياه المتوافرة، وقد كانت جميع مشروعات التقسيم التي اقترحتها اللجان المختلفة تعطي الصهيونية أحسن أصناف الأراضي، وتترك للفلسطينيين الأراضي الفقيرة (صالح ١٩٨٤ص١٧٠-١٧٣).

وقد بنت الصهيونية استراتيجيتها الاستيطانية من الوجهة العسكرية، على القواعد التالية:

- اختيار مواقع المستعمرات في المنطقة التي خططت الصهيونية لاحتلالها، بغية إقامة دولتين فيها، على حدود تلك المنطقة وفي عمقها، وعلى محاور الاختراق، وعلى المفاصل الاستراتيجية العامة، وفي الأماكن الغنية بالمياه والمواد الأولية والموارد الطبيعية.
- أعداد المستعمرة لكي تكون قادرة على الدفاع عن نفسها، والتعاون مع غيرها من المستعمرات المجاورة لصد أي هجوم أو إعاقته، حتى تتمكن القوات النظامية من الاستعداد للدفاع، ومن ثم للقيام بهجوم معاكس.

- تزويد المستعمرة بمختلف وسائل الدفاع والصمود ومستلزمات المعيشة.
- إنشاء حرس خاص لحماية المستعمرات وتطويره، لكي يصبح فيما بعد نواة لجيش إسرائيل المستقبل، وقد طبقت القواعد سالفة الذكر قبل قيام الكيان الصهيوني وبعد قيامه، بصورة تامة وفعالة.

التوزيع الجغرافي للمستعمرات الاستيطانية اليهودية:- سنتطرق إلى توزيع المستعمرات اليهودية بصورة عامة قبل عام ١٩٤٨ وبعده، فيما يلي:-

أولاً: توزيع المستعمرات اليهودية حتى عام ١٩٤٨: إذا ألقينا نظرة على خريطة الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين يبدو لنا توزيع المستعمرات كما يلي: (سويد ١٩٩٠ص٤١٧-٤١٩).

في الشمال: أقيمت سلسلة من المستعمرات على طول الحدود الفلسطينية اللبنانية، وكان معظم هذه المستعمرات في الجليل الأعلى والجليل الأدنى.

في الجنوب: أقيمت مستعمرات على الحدود الفلسطينية المصرية وفي إقليم النقب.

في الغرب: انتشرت العديد من المستعمرات في إقليم السهل الساحلي لفلسطين، لما يتمتع به من مزايا موقعية إيجابية، إضافة إلى غناه بالموارد الطبيعية والاقتصادية.

في الشرق: أقيمت بعض المستعمرات في غور الأردن بمحاذاة الضفة الغربية للنهر.

ثانياً: توزيع المستعمرات اليهودية بعد عام ١٩٦٧: قام الكيان الصهيوني بإنشاء المستعمرات اليهودية في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧، سواء في الضفة الغربية أو في قطاع غزة، متبعاً في بناء هذه المستعمرات الاستراتيجية العسكرية التي اتبعها سابقاً، مع تطويرها وفقاً للظروف المستجدة، مع مراعاة الأولويات والاعتبارات الأمنية والسياسية واحتياجات التوطين والامكانيات المتاحة والقيود القائمة. وقد أقيمت المستعمرات في مناطق ذات أهمية استراتيجية بمحاذاة خطوط الهدنة، أو متاخمة لمناطق يحتمل أن تصبح حدودية في المستقبل. وسيترتب على ذلك قيام مستعمرات في المناطق التي تتطلب وجوداً أمنياً، وربط المستعمرات مع بعضها بروابط اقتصادية فعَّالة.

وبحسب ما أورده تقرير الأمين العام للأمم المتحدة، فإن المعايير الرئيسية لتخطيط مواقع المستعمرات اليهودية في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧، هي:

- تطويق المراكز العمرانية الفلسطينية، وتقييد التوسع في مساحاتها في المستقبل، وذلك بتقييد الحد الأقصى للمساحات المبنية فيها، وتطبيق أنظمة خاصة باستعمالات الأرض، والفصل في الخدمات العامة بين المراكز العمرانية الفلسطينية والمستعمرات اليهودية.
- تحديد مواقع المستعمرات اليهودية، بحيث تقيد توسع المراكز العمرانية الفلسطينية المجاورة.

من الناحية العسكرية

- إيجاد صفوف عريضة من المباني التابعة للمستعمرات اليهودية على جانبي الطرق الرئيسة، بغرض التحكم في الشرايين التي تربط المراكز العمرانية الفلسطينية.
- استعمال طرق التفافية للربط بين المستعمرات اليهودية، وذلك لتجنب المرور بالمراكز العمرانية الفلسطينية، وهناك تفسيرات أخرى لمقاصد إنشاء المستعمرات اليهودية، فقد علق بول كويرنغ مدير وكالة منونيت للإغاثة على توزيع هذه المستعمرات، بأنه يهدف إلى تطويق المجتمعات الفلسطينية وعزلها، وأنه يظهر في ثلاثة خطوط، فأما الخط الأول، فإنه يسير بمحاذاة نهر الأردن، ويقوم هذا الحزام من المستعمرات بعزل الفلسطينيين في الضفة الغربية عن الأردن. وأما الخط الثاني، فيمتد بمحاذاة خط الهدنة لعام ١٩٤٩ بين الأردن والكيان الصهيوني (الخط الأخضر)، ويقوم هذا الحزام من المستعمرات بعزل الفلسطينيين في الضفة الغربية عن الكيان الصهيوني. ويقوم الكيان الصهيوني في الوقت الحاضر ببناء سور أمني من الإسمنت المسلح والأسلاك الكهربائية حول الضفة الغربية، بهدف عزلها ومحاصرتها. (الأمم المتحدة ١٩٨٢ص ٢٨-٢٩)

وهكذا، نجد أن الضفة الغربية تشتمل على ثلاثة نطاقات أو أحزمة من المستعمرات اليهودية، تمتد من الشمال إلى الجنوب في المنطقة الشرقية (غور الأردن)، والمرتفعات الجبلية الوسطى، والمنطقة الغربية (بمحاذاة الحزام الأخضر) وقد استحوذت المنطقة الوسطى على أعلى نسبة من المستعمرات (٤٦٪)، مقابل (٢٤٪) لغور الأردن، و (٣٠٪) لمنطقة الحزام الأخضر المتاخمة لخط الهدنة ١٩٤٩.

ويشتمل كل حزام استيطاني على عدد من الكتل الاستيطانية (٢٢كتلة) التي تشتمل بدورها على عدد من المستعمرات اليهودية، وأهم هذه الكتل، ما يلي: (بنفستي ١٩٨٦ص ٤٧)، و(وأبو لغد ١٩٨٢ص ٣٧)، و(صالح ١٩٩٠ص ٣٧١) ريحان، شمالي السامرة، الكتلة الغربية، شفي شومرون، سلغيت، قدوميم، تيرتا إيلون موريه، ترني شمرون، ارئيل، حلميش، شيلو، وادي الأردن، بيت إيل، معالية ادوميم، جفعوت، موديعيم، عوشت عنسيون، صحراء يهوذا، شمال البحر الميت، ياتير، جبل الخليل.

ولمعرفة الجهة التي تتركز فيها المستعمرات اليهودية في الضفة الغربية، تم تعيين المركز المتوسط لتحديد ظاهرة التمركز وفق معادلة معينة (دروري ١٩٨٢ص ٢٠٤)، واتضح أن الاستعمار الاستيطاني اليهودي يتركز في نقطة تميل قليلاً إلى الغرب من شمال مدينة القدس. كما تم تحديد قرينة التجاور لمعرفة نمط انتشار المستعمرات اليهودية وفق معادلة أخرى (صالح ١٩٩٠ص ٣٣٩-٣٤٠)، واتضح أن الاستعمار الاستيطاني اليهودي انتشر في البداية حول القدس والخليل وعلى طول نهر الأردن، وأن انتشاره أخذ يمتد بصورة عامة من الجهات الشرقية إلى الجهات الغربية في الضفة الغربية منذ عام ١٩٦٧ حتى الوقت الحاضر، وأنه يتركز في بؤر استيطانية حول المدن الفلسطينية.

في قطاع غزة، يمكن التمييز بين الكتل الاستيطانية نيسانيت (التكتل الشمالي من مدينة غزة)، نيتزاريم (التكتل الجنوبي من مدينة غزة)، غوش قطيف (التكتل الشمالي من مدينة خانيونس)، رفح يام (التكتل الغربي من مدينة رفح).

وفيما يتعلق بأصناف المستعمرات اليهودية في المناطق المحتلة ١٩٤٧، يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة أصناف رئيسة، هي: مستعمرات حضرية وضواح، ومستعمرات ريفية وشبه حضرية، ومستعمرة ناحال. فأما النوع الأول، فإنه يشتمل على الأنماط التالية: (بنفنستي ١٩٨٤).

١. المدينة.

٢. القرية

٣. اليوشافا (الضاحية).

وأما النوع الثاني، فإنه يشتمل على الأنماط التالية:

١. يشوف كهيلاني.

٢. التعاونيات الزراعية.

٣. مركز المستعمرة.

آثار الاستعمار الاستيطاني اليهودي

تتنوع آثار الاستعمار الاستيطاني اليهودي، فهناك الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الإيجابية بالنسبة للكيان الصهيوني والسلبية بالنسبة للفلسطينيين. وتتمثل الآثار السياسية في إنجاح المشروع الصهيوني، بترسيخ جذور الكيان الصهيوني وتقويته وتحقيق أهدافه التوسعية. وفي المقابل، نجد أن الاستعمار الاستيطاني اليهودي يهدف إلى الضغط على الفلسطينيين، وذلك لإجبارهم على الهجرة إلى خارج بلادهم، وعدم إتاحة الفرصة أمامهم لإقامة دولتهم على تراب وطنهم. والجدير ذكره هنا، أن سلطات الاحتلال صادرت منذ عام ١٩٦٧ نحو (٦٠٪) من مساحة الضفة الغربية و(٤٠٪) من مساحة قطاع غزة، واستولت على (٨١٪) من كمية المياه الفلسطينية.

أما الآثار الاقتصادية، فإنها تتمثل في استيلاء المستعمرين اليهود على أراضي الفلسطينيين بأساليب مختلفة، وتضييق العيش عليهم بعد أن يتم مصادرة الأرض وتفريغها من سكانها الأصليين ونهب مواردها. وهناك علاقة قوية بين الاستعمار

اليهودي ومصادرة الأرض الفلسطينية في الضفة الغربية، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٧٣)، (صالح ١٩٩٠ص ٣٦٨-٣٦٩). كما تتمثل في الاستيلاء على مصادر المياه العربية في المناطق المحتلة، وما يترتب على ذلك من حرمان الفلسطينيين التمتع بمواردهم الطبيعية، وبالتالي تدهور أوضاع الزراعة وتناقص الإنتاجية. ويسهم الاستعمار الاستيطاني اليهودي في تفاقم مشكلات الصناعة بالمناطق المحتلة. وينعكس سوء الأوضاع الزراعية والصناعية سلباً على العمالة الفلسطينية التي أصبحت تشكل ضغطاً مرتفعاً على الموارد، وتعاني من بطالة تصل نسبتها إلى ٨٠٪ من العمالة، وبخاصة في ظل الانتفاضة الفلسطينية (صالح ١٩٩٠ص ٣٧٤-٣٧٥).

وأما الآثار الاجتماعية والثقافية، فإنها تتمثل في اضطهاد سلطات الاحتلال للفلسطينيين، بإشاعة جو من الذعر والخوف في ظل القهر، وسفك الدماء، والاعتقالات، وهدم البيوت والمخيمات، وطمس المعالم، واقتلاع الأشجار، ومصادرة الأراضي، ومحاصرة المدن والقرى، وتكثيف الحواجز الأمنية، وبث الفرقة بين الفلسطينيين، والتدخل في المناهج الدراسية، الأمر الذي انتشرت معه الأمية والبطالة والفقر والجريمة، ولم يعد الفرد قادراً على تحقيق الحد الأدنى من العيش الكريم. وعمل المستعمرون اليهود على إقامة الحواجز العسكرية، وذلك لفصل المراكز العمرانية الفلسطينية عن بعضها، وعزلها لفترات طويلة، بحيث يتعرض سكانها إلى الجوع وعدم القدرة على التواصل مع الآخرين، إضافة إلى إغلاق المدارس والمعاهد والجامعات لفترات طويلة.

إن الضغط الاقتصادي الصهيوني وانعكاساته الاجتماعية، يأتي من خلال زيادة نسبة من هم دون خط الفقر في المناطق المحتلة، وكذلك إغلاق الضفة والقطاع عبر العوازل الصهيونية المتمثلة في المستعمرات الاستيطانية.

المراجـــع

أولاً: المراجع العربية

١. الأمم المتحدة، المستوطنات الإسرائيلية في غزة والضفة الغربية (بما في ذلك القدس): طبيعتها والهدف منها. نيويورك ١٩٨٢.

٢. أورن، الحانان، دور الاستيطان وأهدافه الأمنية في أمن إسرائيل في الثمانينات. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٨٠.

٣. بحيري، صلاح الدين، الصهيونية وحدود الكيان مجلة كلية الآداب/ الجامعة الأردنية، المجلد (٢)، أيار ١٩٧١.

٤. الدويكات، قاسم، الجغرافيا السياسية. جامعة مؤتة ٢٠٠٢.

٥. الديب، محمد، الجغرافيا السياسية. مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٦.

٦. ربابعة، غازي، الاستراتيجية الإسرائيلية للفترة (١٩٦٧-١٩٨٠). مكتبة المنار، الزرقاء ١٩٨٣.

٧. السعدون، غالب، نظرية (بيولوجية الدولة- المجال الحيوي) في السوق الصهيوني. مجلة الجمعية الجغرافية العراقية العدد (٢٧) حزيران ١٣.

٨. سويد، يانسين، الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية. الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، بيروت ١٩٩٠.

٩. صالح، حسن عبد القادر، أصناف الأرض في فلسطين. الموسوعة الفلسطينية،القسم الأول، دمشق ١٩٨٤

١٠. صالح، حسن عبد القادر، سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا. دار الشروق، عمان ١٩٨٥.

١١. صالح حسن عبد القادر، الأوضاع الديموغرافية للشعب الفلسطيني الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، بيروت ١٩٩٠.

١٢. صالح، حسن عبد القادر، طمس المعالم العربية والإسلامية وتهويدها في فلسطين تحت الاحتلال اليهودي (١٩٤٨-١٩٩٤). في كتاب الموسم الثقافي الثالث عشر لمجمع اللغة العربية الأردني. عمان ١٩٩٥

١٣. معتوق، سمير، الأساس الجغرافي للاستعمار الاستيطاني الصهيوني في الضفة الغربية (١٩٦٧-١٩٨٥). دار البشير عمان ١٩٩٢.

١٤. نوفل، سيد، الصهيونية السياسية بين الأساسين الاستعماري واليهودي. مجلة الشرق الأوسط، جامعة عين شمس العدد (١) يناير ١٩٧٤.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Abu- Lughed , I., lsraeli settlements in occupied arab lands: cenquest to colony. Palestine studey mag. Vot.b.no.2,1982.
2. Benvenisti m., demographec, economic, legal, social development in the west bank. jezusalem post, jerusalem post, jeruoalem: 1986.
3. Benvenisti m., the west bank data project. Washengton 1984.
4. Drori m., autonomy in judea, samaria and Gaza I egal legal aspect of its implementation. The institute for the study of human issues. Philadelphia 1982.
5. Jones, s.b., the powes inventory and national strotegy. World politics, vol.6, no.4.,1954.
6. Norman,l., lnternational politics. Hazpez and row. New York 1963
7. Saleh h.a.k., jewish settlements and the eoononec impact on….??